هو العليم

كيف بدأت حياة الإنسان الاجتماعيّة؟

خصائص الإنسان ونشأة المجتمع والدين

سلسلة بحوث من تفسير الميزان، البحوث الاجتماعيّة، البحث الأوّل

إعداد: الهيئة العلميّة في مدرسة الوحي

المصدر: تفسير الميزان ج٢

@MadrastAlwahy

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين

وصلّى الله على سيّدنا ونبيّنا محمّد وعلى آله الطاهرين

ما يفيده القرآن في حقيقة الإنسان وتاريخ نوعه

﴿كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1]

[1] سورة البقرة، الآية ٢١٣

الآية تبيّن السبب في تشريع أصل الدين و تكليف النوع الإنسانيّ به، و سبب وقوع الاختلاف فيه ببيان: أنّ الإنسان ـ و هو نوع مفطور على الاجتماع و التعاون ـ كان في أول اجتماعه أمّة واحدة، ثمّ ظهر فيه بحسب الفطرة الاختلاف في اقتناء المزايا الحيويّة، فاستدعى ذلك وضع قوانين ترفع الاختلافات الطارئة، و المشاجرات في لوازم الحياة فألبست القوانين الموضوعة لباس الدين، وشفّعت بالتبشير والإنذار بالثواب و العقاب، و أصلحت بالعبادات المندوب إليها[1] ببعث النبيّين، و إرسال المرسلين[2]، ثمّ اختلفوا في معارف الدين أو أمور المبدإ و المعاد، فاختلّ بذلك أمر الوحدة الدينيّة، و ظهرت الشعوب و الأحزاب، و تبع ذلك الاختلاف في غيره، و لم يكن هذا الاختلاف الثاني إلا بغيًا من الذين أوتوا

---

[1] أي المدعوّ إليها. (م)

[2] ملاحظة: يبدو أنّ الآية وكلام العلاّمة رضوان اللَه عليه في تفسيرها ناظران إلى الجانب الاجتماعيّ من التشريع، ولا ينفي ذلك أن يكون له أهداف أخرى في جانبه الفرديّ. (م)

الكتاب، و ظلمًا و عتوًّا منهم بعد ما تبيّن لهم أصوله و معارفه، و تمّت عليهم الحجّة، فالاختلاف اختلافان:

١ـ اختلاف في أمر الدين مستند إلى بغي الباغين دون فطرتهم و غريزتهم.

٢ـ و اختلاف في أمر الدنيا و هو فطريّ و سبب لتشريع الدين.

ثمّ هدى اللَه سبحانه المؤمنين إلى الحقّ المختلف فيه بإذنه، و اللَه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

فالدين الإلهيّ هو السبب الوحيد لسعادة هذا النوع الإنساني، و المصلح لأمر حياته، يصلح الفطرة بالفطرة و يعدّل قواها المختلفة عند طغيانها، و ينظُم للإنسان سلك حياته الدنيويّة و الأخرويّة، والماديّة و المعنويّة.

فهذا إجمال تاريخ حياة هذا النوع (الحياة الاجتماعيّة و الدينيّة) على ما تعطيه هذه الآية الشريفة، و قد اكتفت في تفصيل ذلك بما تفيده متفرّقات الآيات القرآنيّة النازلة في شئون مختلفة.

بدء تكوين الإنسان

و محصل ما تبيّنه تلك الآيات على تفرقها أنّ النوع الإنساني ـ و لا كلّ نوع إنساني بل هذا النسل الموجود من الإنسان ـ ليس نوعا مشتقًّا من نوع آخر حيوانيّ أو غيره حوّلته إليه الطبيعة المتحوّلة المتكاملة، بل هو نوع أبدعه اللَه تعالى من الأرض، فقد كانت الأرض و ما عليها و السماء و لا إنسان، ثمّ خلق زوجان اثنان من هذا النوع، و إليهما ينتهي هذا النسل الموجود، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوبًا وَ قَبائِلَ﴾[1] ، و قال تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْها زَوْجَها﴾[2]، و قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ﴾[3]، و أما ما افترضه علماء الطبيعة من تحوّل الأنواع و أنّ الإنسان مشتقّ من القرد، و عليه مدار البحث الطبيعيّ اليوم، أو متحوّل من السمك على ما احتمله

---

[1] سورة الحجرات، الآية ١٣.

[2] سورة الأعراف، الآية ١٨٩.

[3] سورة آل عمران، الآية ٥٩.

بعض فإنّما هي فرضيّة، و الفرضية غير مستند إلى العلم اليقينيّ، و إنما توضع لتصحيح التعليلات و البيانات العلميّة، و لا ينافي اعتبارها اعتبار الحقائق اليقينيّة، بل حتّى الإمكانات الذهنيّة، إذ لا اعتبار لها أزيد من تعليل الآثار و الأحكام المربوطة بموضوع البحث، وسنستوعب هذا البحث إن شاء الله في سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ﴾[1]

تركّبه من روح و بدن

و قد أنشأ الله سبحانه هذا النوع ـ حينما أنشأ ـ مركّبًا من جزأين و مؤلّفًا من جوهرين: مادّة بدنيّة، وجوهر مجرّد هي النفس و الروح، و هما متلازمان و متصاحبان ما دامت الحياة الدنيويّة، ثمّ يموت البدن و يفارقه الروح الحيّة، ثمّ يرجع الإنسان إلى الله سبحانه قال تعالى: ﴿وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ

[1] سورة آل عمران، الآية ٥٩.

مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظامًا فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ تُبْعَثُونَ﴾[1] (انظر إلى موضع) قوله: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقًا آخَرَ﴾[2]، و في هذا المعنى قوله تعالى: ﴿فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ﴾[3]، و أوضح من الجميع قوله سبحانه ﴿وَ قالُوا أَإِذا ضَلَلْنا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ كافِرُونَ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[4]، فإنّه تعالى أجاب عن إشكالهم ـ بتفرّق الأعضاء والأجزاء و استهلاكها في الأرض بعد الموت فلا تصلح للبعث ـ بأنّ ملك الموت يتوفّاهم و يضبطهم فلا يدعهم، فهم غير أبدانهم! فأبدانهم

---

[1] بحث العلاّمة هذا الموضوع في ج٤، ص: ١٤٣ تحت عنوان: كلام في أن الإنسان نوع مستقل غير متحول من نوع آخر. وراجع البحث المنتخب حول ذلك في موقع مدرسة الوحي تحت عنوان: عمر الإنسان وبدء تكوينه.

[2] سورة المؤمنون، الآية ١٦.

[3] راجع تفسير الميزان، ج١٥ ص ٢٠، والبحث المنتخب حول هذا الموضوع تحت عنوان: حقيقة الروح الإنسانيّة.

[4] سورة ص الآية ٧٢.

تضلّ في الأرض لكنّهم أي نفوسهم غير ضالّة و لا فائتة و لا مستهلكة، و سيجيء إن شاء اللَه استيفاء البحث عما يعطيه القرآن في حقيقة الروح الإنساني في المحل المناسب له.[1]

شعوره الحقيقي و ارتباطه بالأشياء

و قد خلق اللَه سبحانه هذا النوع، و أودع فيه الشعور، و ركّب فيه السمع و البصر و الفؤاد ففيه قوّة الإدراك و الفكر، بها يستحضر ما هو ظاهر عنده من الحوادث و ما هو موجود في الحال و ما كان وما سيكون و يؤول إليه أمر الحدوث و الوقوع، فله إحاطة ما بجميع الحوادث، قال تعالى: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ:﴾[2]، و قال تعالى: ﴿وَ اللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةَ:﴾[3]، و قال تعالى ﴿وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها﴾[4].

---

[1] سورة السجدة، الآية ١١.

[2] سورة العلق، الآية ٥.

[3] سورة النحل، الآية ٧٨.

[4] سورة البقرة، الآية ٣١.

و قد اختار تعالى لهذا النوع سنخ وجود يقبل الارتباط بكلّ شيء، و يستطيع الانتفاع من كلّ أمر، أعمّ من الاتصال أو التوسّل به إلى غيره بجعله آلة و أداة للاستفادة من غيره، كما نشاهده من عجيب احتيالاته الصناعيّة، و سلوكه في مسالكه الفكريّة، قال تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾[2]، إلى غير ذلك من الآيات الناطقة بكون الأشياء مسخّرة للإنسان.[3]

علومه الاعتباريّة العمليّة والفرق بينها وبين العلوم الحقيقيّة

و أنتجت هاتان العنايتان: أعني قوّة الفكر و الإدراك و رابطة التسخير عناية ثالثة عجيبة و هي أن يهيّئ لنفسه

---

[1] سورة البقرة، الآية ٢٩.

[2] سورة الجاثية، الآية ١٣.

[3] مثل الآيات التالية: ﴿اللَّهُ الَّذى خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقًا لَكُمْ وَ سَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَ سَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهارَ * وَ سَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دائِبَيْنِ وَ سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ﴾ (سورة إبراهيم الآيتان ٣٢ ـ ٣٣)

﴿وَ سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومُ مُسَخَّراتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فى ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (سورة النحل الآية ١٢) (م)

علومًا و إدراكات يعتبرها اعتبارًا للورود في مرحلة التصرّف في الأشياء و فعليّة التأثير والفعل في الموجودات الخارجة عنه للانتفاع بذلك في حفظ وجوده و بقائه.

كثرة علوم الإنسان ومنشؤها

توضيح ذلك: أنّك إذا خلّيت ذهنك و أقبلت به على الإنسان، هذا الموجود الأرضيّ الفعّال بالفكر والإرادة، و اعتبرت نفسك كأنّك أوّل ما تشاهده و تُقبل عليه، وجدت الفرد الواحد منه أنّه في أفعاله الحيويّة يوسّط إدراكات و أفكار جمّة غير محصورة يكاد يدهش من كثرتها و اتساع أطرافها وتشتّت جهاتها العقلُ، و هي علوم كانت العوامل في حصولها و اجتماعها و تجزّيها و تركّبها الحواسّ الظاهرة والباطنة من الإنسان، أو تصرّف القوّة الفكريّة فيها تصرّفًا ابتدائيًّا أو تصرّفًا بعد تصرّف، وهذا أمر واضح يجده كلّ إنسان من نفسه و من غيره لا يحتاج في ذلك إلى أزيد من تنبيه و إيقاظ.

ثمّ إذا كرّرت النظر في هذه العلوم و الإدراكات وجدت شطرًا منها لا يصلح لأن يتوسّط بين الإنسان وبين أفعاله الإراديّة كمفاهيم الأرض و السماء و الماء و الهواء و الإنسان و الفرس و نحو ذلك من التصوّرات، و كمعاني قولنا: الأربعة زوج، و الماء جسم سيّال و التفّاح أحد الثمرات، وغير ذلك من التصديقات، و هي علوم و إدراكات تحقّقت عندنا من الفعل و الانفعال الحاصل بين المادّة الخارجيّة وبين حواسّنا و أدواتنا الإدراكيّة، و نظيرها علمنا الحاصل لنا من مشاهدة نفوسنا وحضورها لدينا (ما نحكي عنه بلفظ أنا)، و الكليّات الأخر المعقولة، فهذه العلوم و الإدراكات لا يوجب حصولها لنا تحقّق إرادة و لا صدور فعل، بل إنما تحكي عن الخارج حكاية.

و هناك شطر آخر بالعكس من الشطر السابق كقولنا: إن هناك حسنًا و قبحًا و ما ينبغي أن يفعل وما يجب أن يترك، و الخير يجب رعايته، و العدل حسن، و الظلم قبيح و مثل مفاهيم الرئاسة والمرؤوسيّة، و العبديّة و المولويّة

فهذه سلسلة من الأفكار و الإدراكات لا همّ لنا إلا أن نشتغل بها و نستعملها و لا يتمّ فعل من الأفعال الإراديّة إلا بتوسيطها و التوسّل بها لاقتناء الكمال و حيازة مزايا الحياة.

و هي مع ذلك لا تحكي عن أمور خارجيّة ثابتة في الخارج مستقلّة عنّا و عن أفهامنا كما كان الأمر كذلك في القسم الأول، فهي علوم و إدراكات غير خارجة عن محوطة العمل و لا حاصلةٌ فينا عن تأثير العوامل الخارجيّة، بل هي مما هيأناه نحن و أُلهمناه من قبل إحساسات باطنيّة حصلت فينا من جهة اقتضاء قوانا الفعّالة، و جهازاتنا العاملة للفعل و العمل، فقوانا الغاذية أو المولّدة للمثل بنزوعها نحو العمل، و نفورها عما لا يلائمها توجب حدوث صور من الإحساسات: كالحبّ والبغض، و الشوق والميل و الرغبة، ثمّ هذه الصور الإحساسيّة تبعثنا إلى اعتبار هذه العلوم والإدراكات من معنى الحسن و القبح، و ينبغي و لا ينبغي، و يجب و يجوز،

إلى غير ذلك، ثم بتوسطها بيننا و بين المادة الخارجيّة وفعلنا المتعلّق بها يتمّ لنا الأمر.

فقد تبيّن أنّ لنا علومًا و إدراكات لا قيمة لها إلا العمل، (و هي المسماة بالعلوم العمليّة) و لاستيفاء البحث عنها محلّ آخر.[1]

و اللَه سبحانه ألهمها الإنسان ليجهّزه للورود في مرحلة العمل، و الأخذ بالتصرّف في الكون، ليقضي اللَه أمرًا كان مفعولاً، قال تعالى: ﴿الَّذِى أَعْطى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى﴾[2]، و قال تعالى: ﴿الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى وَ الَّذِى قَدَّرَ فَهَدى﴾[3]، و هذه هداية عامة لكلّ موجود مخلوق إلى ما هو كمال وجوده، و سوق له إلى الفعل و العمل لحفظ وجوده و بقائه، سواء كان ذا شعور أو فاقدًا للشعور.

---

[1] لمزيد من التفصيل راجع: أصول الفلسفة والمذهب الواقعي المقالة السادسة، ورسالة الاعتبار للعلامة الطباطبائي. والبحث المنتخب تحت عنوان: معنى الحقائق والاعتباريّات والعلاقة بينها (م)

[2] سورة طه، الآية ٥٠.

[3] سورة الأعلى، الآية ٣.

و قال تعالى في الإنسان خاصة: ﴿وَ نَفْسٍ وَ ما سَوَّاها فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها﴾[1]، فأفاد أنّ الفجور والتقوى معلومان للإنسان بإلهام فطريّ منه تعالى، و هما ما ينبغي أن يفعله أو يراعيه و ما لا ينبغي، وهي العلوم العمليّة التي لا اعتبار لها خارجة عن النفس الإنسانيّة، و لعلّه إليه الإشارة بإضافة الفجور و التقوى إلى النفس.

و قال تعالى: ﴿وَ ما هذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا إِلَّا لَهْوٌ وَ لَعِبٌ وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ﴾[2]، فإنّ اللعب لا حقيقة له إلا الخيال فقط، كذا الحياة الدنيا: من جاه و مال و تقدّم و تأخّر و رئاسة ومرءوسيّة و غير ذلك إنّما هي أمور خياليّة لا واقع لها في الخارج عن ذهن الذاهن، بمعنى أنّ الذي في الخارج إنما هو حركات طبيعيّة يتصرّف بها الإنسان في المادة من غير فرق في ذلك بين أفراد الإنسان وأحواله.

---

[1] سورة الشمس، الآية ٨.

[2] سورة العنكبوت، الآية ٦٤.

فالموجود بحسب الواقع من «الإنسان الرئيس» إنسانيته، و أما رئاسته فإنما هي في الوهم، و من «الثوب المملوك» الثوب مثلاً، و أما إنّه مملوك فأمر خياليّ لا يتجاوز حد الذهن، و على هذا القياس.[1]

فهذه السلسلة من العلوم و الإدراكات هي التي تربط الإنسان بالعمل في المادة.

---

[1] تلخيص وتوضيح: إذن لدى الإنسان علوم ومدركات حقيقيّة نظريّة، وأخرى اعتباريّة عمليّة، ومثال الأولى تصوّره عن الموجودات الخارجيّة كالأرض والماء والسماء، ومثال الثانية تصوّره عن الوجوب والجواز والحرمة. وهناك ثلاث فوارق بين هذين النوعين من العلوم: ١ـ أنّ الأولى تحكي عن الواقع الخارجيّ بينما الثانية لا تحكي عنه وإنما أوجدها الإنسان ليتصرّف في الواقع الخارجيّ.

٢ـ أنّ الأولى لا تتبعها إرادة وفعل بينما الثانية تتبعها إرادة وفعل.

٣ـ أنّ الأولى تنتج من التفاعل بين الموجودات الخارجيّة وبين حواسنا وقوانا العاقلة فمن مواجهة موجود كالماء يحصل لدينا صورة علميّة له، بينما الثانية تنتج من إحساساتنا الباطنة كالحبّ والبغض. فمن الحبّ نعتبر الحسن وانبغاء الفعل والوجوب ومن البغض نعتبر القبح وعدم انبغاء الفعل والحرمة.

وقد تحدّث عنها مقدّمة للحديث عن اعتبار الاستخدام والانتفاع الآتي والذي هو سبب الحياة الاجتماعيّة.(م)

و من جملة هذه الأفكار و التصديقات تصديق الإنسان بأنه يجب أن يستخدم كلّ ما يمكنه استخدامه في طريق كماله، و بعبارة أخرى إذعانه بأنه ينبغي أن ينتفع لنفسه، و يستبقي حياته بأيّ سبب أمكن و بذلك يأخذ في التصرّف في المادّة، و يعمل آلات من المادّة، يتصرّف بها في المادّة كاستخدام السكين للقطع، واستخدام الإبرة للخياطة، و استخدام الإناء لحبس المائعات، و استخدام السلّم للصعود، إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة، و لا يحدّ من حيث التركيب و التفصيل، و أنواع الصناعات و الفنون المتّخذة لبلوغ المقاصد والأغراض المنظور فيها.

و بذلك يأخذ الإنسان أيضًا في التصرّف في النبات بأنواع التصرّف، فيستخدم أنواع النبات بالتصرّف فيها في طريق الغذاء و اللباس و السكنى و غير ذلك، و بذلك يستخدم أيضا أنواع الحيوان في سبيل منافع حياته، فينتفع

من لحمها و دمها و جلدها و شعرها و وبرها و قرنها و روثها و لبنها و نتاجها وجميع أفعالها.

مبدأ وجوب الاستخدام ونشوء المجتمع الإنسانيّ

و لا يقتصر على سائر الحيوان دون أن يستخدم سائر أفراد نوعه من الآدميين، فيستخدمها كلّ استخدام ممكن، و يتصرّف في وجودها و أفعالها بما يتيسّر له من التصرّف، كلّ ذلك مما لا ريب فيه.

غير أنّ الإنسان لما وجد سائر الأفراد من نوعه، و هم أمثاله، يريدون منه ما يريده منهم، صالَحهم ورضي منهم أن ينتفعوا منه وزان ما ينتفع منهم، و هذا حكمه بوجوب اتخاذ المدنيّة والاجتماع التعاوني، و يلزمه الحكم بلزوم استقرار الاجتماع بنحو ينال كلّ ذي حقّ حقّه، و يتعادل النسب والروابط، و هو العدل الاجتماعي.

اضطرار الإنسان إلى المجتمع والعدالة ومخالفاته وظلمه

فهذا الحكم ـ أعني حكمه بالاجتماع المدني و العدل الاجتماعيّ ـ إنما هو حكم دعا إليه الاضطرار، ولولا الاضطرار المذكور لم يقض به الإنسان أبدًا، و هذا معنى

ما يقال إنّ الإنسان مدنيّ بالطبع، و إنّه يحكم بالعدل الاجتماعي، فإن ذلك أمر ولّده حكم الاستخدام المذكور اضطرارًا على ما مرّ بيانه، ولذلك كلّما قوي إنسان على آخر ضعف حكمُ الاجتماع التعاونيّ وحكمُ العدلِ الاجتماعيّ أثرًا؛ فلا يراعيه القويّ في حقّ الضعيف، و نحن نشاهد ما يقاسيه ضعفاء الملل من الأمم القويّة، و على ذلك جرى التاريخ أيضًا إلى هذا اليوم الذي يدعى أنّه عصر الحضارة و الحريّة.

و هو الذي يستفاد من كلامه تعالى كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾[1] و قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾[2]، و قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[3]، و قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى﴾[4].

و لو كان العدل الاجتماعي مما يقتضيه طباع الإنسان اقتضاء أوّليًّا لكان الغالب على الاجتماعات في شؤونها هو

---

[1] سورة الأحزاب، الآية ٧٢.

[2] سورة المعارج، الآية ١٩.

[3] سورة إبراهيم، الآية ٣٤.

[4] سورة العلق، الآية ٧.

العدل، و حسن تشريك المساعي، و مراعاة التساوي، مع أنّ المشهود دائمًا خلافُ ذلك، وإعمالُ القدرة و الغلبة و تحميلُ القويِّ العزيزِ مطالبَه الضعيفَ، و استذلالُ الغالب للمغلوب واستعبادهُ في طريق مقاصده و مطامعه.[1]

---

[1] تفسير الميزان، ج٢، ص: ١١٢ ـ ١١٨.

ملاحظة: هذه المقالة مقتبسة من كتاب "تفسير الميزان" للعلامة الطباطبائي (رضوان اللَه عليه). وقد قامت الهيئة العلمية في "مدرسة الوحي" بتحقيق النص ضمن حدود تصحيح الأخطاء الإملائية والنحوية، وإضافة العناوين أو تعديل الموجود منها (سواء من المصنّف أو المحققين) بهدف التوضيح. كما شمل العمل ترتيب الفقرات بحسب الأفكار، وإضافة هوامش توضيحية لبعض المفردات أو الأفكار الغامضة، مع الحفاظ التام على أصل المتن والإشارة الدقيقة إلى مصدره؛ وذلك لتسهيل الاستفادة من هذا السفر القيّم، واستخراج جواهره، وتسليط الضوء عليها.